مجلة جامعة الملك عبدالعزيز: الآداب والعلوم الانسانية، م٢٧ع٢ ص ص: ٧٣- ٩١ (٢٠١٩م)
DOI:10.4197/Art.27-2.3

علاقةُ أعمالِ القلوبِ بالعباداتِ الظاهرةِ دراسة تأصيلية في ضوء السُّنَّة النبوية

عبده بن كداف أحمد الكد

أستاذ الحديث المساعد بكلية الآداب والعلوم الإنسانية

مستخلص. في هذا البحث؛ يعرض الباحث لموضوعه؛ ويهدف إلى ترسيخ مفهومٍ شرعيٍّ كريم، ألا وهو: بيان أنَّ العبادات الظاهرة (كالصلاة والصيام وقراءة القرآن الكريم وغيرها)؛ لابد أثناء القيام بها؛ أن ترتبطَ بأعمال القلوب (كالإخلاص لله، والاستعانة بالله على القيام بالعبادة، والخوف من عدم القبول، والرجاء في ثواب الله، ثم شكره تعالى على توفيقه للعبادة).

كلّ ذلك **وِفق الهدْي النبوي**، لِيحسنَ الاقتداء والاهتداء، بسيّد العباد صلى الله عليه وسلم، حيث إنَّ العبادات الظاهرة إذا خلتْ من أعمال القلوب؛ أصبحت أفعالًا بلا روح، **مستنبطًا ذلك من كتب السُّنّة النبوية**.

وقد أسْميته: (علاقةُ أعمالِ القلوبِ بالعباداتِ الظاهرةِ.. دراسة تأصيلية في ضوء السُّنَّة النبوية)

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً، يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾ أما بعد:

فإن القلبَ والعنايةَ به؛ من أهمّ المهمات، وأَوْلى الاهتمامات، وإذا حضر القلبُ مع صاحبه العبادةَ؛ حلَّ الإخلاصُ لله، وارتحلَ العُجْبُ والرياء، واستعان

العبْدُ بمولاه، وحلَّقَ في سماء العبادةِ، وطار بجناحي الخوفِ والرجاء، وحينها؛ يزدادُ تعظيمُه لشعائر الله، ويزدادُ شكرُه لمولاه، فإذا ازداد الشكر؛ زادَ في العبادةِ، وهكذا.

ولهذا؛ إذا حضر القلبُ مع صاحبه العبادةَ؛ فهنيئا له، وإذا غاب خاب.

والنبيُّ ﷺ قدْ علَّم أصحابَه عباداتِ الإسلامِ الظاهرة؛ كالوضوء، والصلاة، والصدقة، والحج، وقراءة القرآن الكريم، وغيرها كثير؛ لكنّه ﷺ لمْ يغفل عن تعليمهم أهمية مصاحبة أعمال القلوب لتلك العبادات الظاهرة، إذْ بدونها قدْ تكون العباداتُ ناقصة، أوْ قدْ لا يكون لصاحبها أجر ألبتّة.

ومن هنا؛ تظهر أهمية هذا البحث المتواضع، وهو تسليط الضوء على العلاقة بين أعمال القلوب وبين العبادات الظاهرة، وخيرُ مَنْ يؤصّل ذلك هو النبيُّ ﷺ، وقد **أسْميته:**

(علاقة أعمال القلوب بالعبادات الظاهرة .. دراسة تأصيلية في ضوء السُّنَّة النبوية)

وأعمال القلوبِ المصاحبةِ للعبادة كثيرة، لكني اقتصرتُ منها على أهمِّها مِن وجهة نظري القاصرة.

وقد سرت وفق منهج محدد، وهو على النحو التالي:

١. استنباط العلاقة بين أعمال القلوب وبين العبادات الظاهرة من خلال أحاديث السُّنة النّبوية.

٢. ذِكر بعض الآيات القرآنية الكريمة التي تعزز ذلك المفهوم.

٣. الاقتصار على الأحاديث المقبولة فقط.

٤. ذِكر أقوال بعض العلماء وتعليقاتهم على الأحاديث بشكل مختصر.

وقدْ قسّمتُ البحث إلى: تمهيد وسبعة مباحث، على النحو التالي:

المبحث الأول: إخلاص العبادة لله تعالى، ووسائل تحقيقه.

المبحث الثاني: محبة الله تعالى ورسوله ﷺ.

المبحث الثالث: الاستعانة بالله تعالى علَى القيام بالعبادة.

المبحث الرابع: العبْد بين الخوف والرجاء .

المبحث الخامس: تحقيق شكر الله تعالى على توفيقه للعبادة.

المبحث السادس: بلوغُ مرتبةِ الإحسانِ في العبادة.

المبحث السابع: الصّبرُ ومجاهدةُ النَّفْسِ على العبادة.

الخاتمة

ثم المصادر والفهارس.

والله تعالى أسأل أن يُصلحَ بواطننا، وأن يوفقنا جميعا لأداء العبادات الظاهرة والباطنة علَى الوجْه الذي يُرضيه عنا.

تمهيد

العبادةُ لغة: الطاعة مع الخضوع، والتعبد: التنسك[١].

---

[١] يُنظر: لسان العرب ٣/ ٢٧٣، القاموس المحيط ص: ٩٥٥.

واصطلاحًا هِيَ: اسْمٌ جَامِعٌ لِكُلِّ مَا يُحِبُّهُ اللَّهُ وَيَرْضَاهُ: مِنْ الْأَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ الْبَاطِنَةِ وَالظَّاهِرَةِ[٢].

والعبادة هي الغاية التي من أجلِها خلق الله تعالى الخلق، فقال تبارك وتعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[الذاريات: ٥٦].

والعبادةُ هي حقُّ الله تعالى على العبادِ، فعنْ معاذٍ رضي الله عنه، قال: كنتَ ردِف النبيّ ﷺ على حمارٍ، فقالَ: «يَا معاذُ؛ هلْ تَدْري حقَّ الله علَى عبادِه، وما حقُّ العبادِ على الله؟»، قلتُ: الله ورسوله أعلم، قال: «فإنَّ حقَّ الله علَى العبادِ أنْ يعبدُوه ولا يُشركوا به شيئًا، وحقّ العبادِ على الله أنْ لا يُعذب مَن لا يُشرك به شيئًا»[٣].

والعباداتُ إمَّا باطنة وإمّا ظاهرةٌ، فالباطنة مثل: الإخلاص، والمحبة، والتوكل، والاستعانة، والخوف، والرجاء، والصبر .. ونحو ذلك.

والعبادات الظاهرة مثل: الوضوء، والصلاة، والحجّ، والعمرة، وقراءة القرآن، ونحو ذلك.

والعلاقة بينهما علاقة قوية جدا، وقد بيَّن ذلك النبيُّ ﷺ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ الله لا يَنظُرُ إلى صورِكِم وأموالِكم، ولكن ينظرُ إلى قلوبِكم وأعمالِكم»[٤].

والعلاقة بين أعمال القلوب الباطنة وأعمال الجوارحِ الظاهرة علاقةٌ وثيقةٌ، قال شيخ الإسلامِ ابن تيمية –يرحمه الله–: "وَالْأَعْمَالُ الظَّاهِرَةُ لَا تَكُونُ صَالِحَةً مَقْبُولَةً إلَّا بِتَوَسُّطِ عَمَلِ الْقَلْبِ"[٥].

المبحث الأول: إخلاص العبادة لله تعالى ووسائل تحقيقه

الإخلاصُ لله تعالى؛ مِنْ أعظم الصفاتِ، وأجلّ القربات، به أمرَ الله تعالى رسولَه ﷺ فقال له: ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ * أَلا للهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾[الزمر: ٢، ٣]، وبه أمرَ الله تعالى المؤمنين فقال لهم: ﴿فَادْعُوا الله مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾[غافر: ١٤]، وقال: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا الله مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾[البيّنة: ٥]، إلَى غير ذلك من الآيات الكريمات، الدّالة على عِظَمِ هذا الأمر عند الله تعالى.

والإخلاص لله تعالى شرطٌ لقبول الأعمال، فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «إنَّما الأعمالُ بالنِّياتِ، وإنَّما لكلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى»[٦].

وقدْ أخبر النبيُّ ﷺ؛ أنَّ العبدَ المسلمَ إذا توضأ، وأحْسن وضوئه، ثمَّ خرج إلى المسْجد، **لا يريد بنيّته إلا الصلاة؛** فإنّه سينالُ الأجرَ العظيمَ مِن الله تعالى، فعنْ أبي هريرة رضي الله عنه قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «صلاةُ أحدِكم في جماعةٍ، تزيدُ على صلاتِه في

[٢] مجموع الفتاوى ١٠/ ١٤٩ .
[٣] أخرجه البخاري برقم ٢٨٥٦، ومسلم برقم ٣٠.
[٤] أخرجه مسلم برقم ٢٥٦٤.

[٥] مجموع الفتاوى ١١/ ٣٨١.
[٦] أخرجه الإمامُ البخاري في صحيحه برقم (١)، وبوَّب عليه بقوله: باب: ما جاء إن الأعمال بالنية والحسبة، ولكل امرئ ما نوى، وأخرجه الإمامُ مسلم برقم ١٩٠٧، وغيرُ هما.
كما بوَّب عليه الإمامُ ابن حبان في صحيحه ١١٣/٢ بقوله: بَابُ الْإِخْلَاصِ وَأَعْمَالِ السِّرِّ.

سُوقِه وبيتِه بضعًا وعشْرينَ دَرجةً، وذلك بأنّه إذا تَوضَّأ فأحْسَنَ الوضوءَ، ثُمَّ أتى المسْجِدَ **لا يُريدُ إلا الصّلاة، لا يَنْهَزُه**[٧] إلا الصلاة، لمْ يخْطُ خَطوةً إلّا رُفِع بها دَرجةً، أوْ حُطَّت عنه بها خطيئةٌ، والملائكةُ تصَلّي عَلى أحدِكم ما دَامَ في مصَلاه الذي يُصلِّي فيه، اللهمّ صلِّ عليهِ، اللهمّ ارْحمه، مَا لمْ يُحْدِث فيه، ما لمْ يُؤْذِ فيهِ»[٨]

وعن حُمْران مولى عثمانَ ﷺ قالَ: توضّأ عثمانُ بنُ عفانّ، يومًا وضوءًا حَسَنًا، ثُمَّ قالَ: رأيتُ رسولَ الله ﷺ توضَّأ فأَحْسَنَ الوضوءَ ثمَّ قالَ: «مَنْ تَوضّأ هكَذا، ثمَّ خَرَجَ إلى المسْجِدِ **لا يَنْهَزُه** إلا الصَّلاةَ، غُفِر له مَا خَلا مِنْ ذَنْبِهِ»[٩].

أرأيتَ أيُّها الموفّق فضل النّيّة !

أرأيتَ الأجورَ العظيمة التي تحصل عليها؛ بمجرّدِ استحضارك للنّيّة، وأنت خارجٌ من بيتك للصلاة!

والمشيُ مع الجنازةِ والصّلاةُ عليها، ثمَّ ملازمتها حتّى تُدفنَ؛ عبادةٌ عظيمةٌ، ينالُ بها العبدُ الأجرَ مَن الله تعالى؛ إذا صاحبَ ذلكَ نيَّةٌ طيّبةٌ، فعنْ أبي هريرةَ ﷺ أنَّ رسولَ الله ﷺ قالَ: «مَنِ اتّبَعَ جَنازةَ مُسْلِمٍ، **إيمانًا واحتسابًا**، وكانَ مَعَه حتى يُصلى عليها ويُفرغ مِن دفنِها، فإنّه يَرجع مِنَ الأجْر بقِيراطَيْن، كلُّ قيراطٍ مِثلُ أُحُدٍ، ومَنْ صلّى عليهَا ثمّ رَجَعَ قبْل أنْ تُدفنَ، فإنّه يَرجع بقِيراطٍ»[١٠] .

[٧] أيْ: لا يَدفعه ولا يُخرجه إلا الصلاة. يُنظر: النهاية في غريب الحديث مادة (نهز).
[٨] أخرجه البخاري برقم ٢١١٩، ومسلم برقم ٦٤٩.
[٩] أخرجه مسلم برقم ٢٣٢.
[١٠] أخرجه البخاري بهذا اللفظ برقم ٤٧.

بلْ بالإخلاص واستحضار النيّة الطيّبة؛ ينال العبدُ أجْر نفقاته وصدقاته، وقد قال النبيُّ ﷺ لسعدٍ ﷺ: «ولسْتَ تُنفقُ نفقةً **تبْتغي بها وجْه الله** إلا أُجِرتَ بها، حَتى اللّقمة تجعلُها في فيّ امرأتِك» فقال سعدٌ: قلتُ: يا رسولَ الله أأخْلفُ بعد أصحابي؟ قال: «إنَّك لنْ تخلفَ **فتعملَ عملًا تبْتغِي بِه وجْه الله**، إلّا ازددتَ به درجةً ورفعةً»[١١].

قال الإمامُ النوويُّ: "وَفِيهِ أَنَّ الْأَعْمَالَ بِالنِّيَّاتِ وَأَنَّهُ إِنَّمَا يُثَابُ عَلَى عَمَلِهِ بِنِيَّتِهِ وَفِيهِ أَنَّ الْإِنْفَاقَ عَلَى الْعِيَالِ يُثَابُ عَلَيْهِ إِذَا قَصَدَ بِهِ وَجْهَ اللَّهِ تَعَالَى وَفِيهِ أَنَّ الْمُبَاحَ إِذَا قُصِدَ بِهِ وَجْهُ اللَّهِ تَعَالَى صَارَ طَاعَةً وَيُثَابُ عَلَيْه"[١٢].

وهنيئًا لمنْ صام رمضانَ وقامَه مؤمنًا بأنَّ هذا التكليفَ ربّانيٌّ، **محْتسبًا** أجْره عنْد الله تعالى، فقد جاء عنْ أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ وسلم قال: «مَنْ قَامَ رَمضانَ **إيمانًا واحْتسابًا**، غُفِر له ما تقدَّمَ مِن ذَنْبِهِ»، وعنْه ﷺ قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «مَنْ صَامَ رَمضانَ **إيمانًا واحْتسابًا**، غُفِر له ما تقدَّمَ مِن ذَنْبِهِ». وهكذَا يكونُ السَّعيدُ في رمضانَ؛ مَنْ وُفِّق لقيام ليلة القَدْرِ **إيمانا واحتسابًا**، فعن أبي هريرة ﷺ عن النبيّ ﷺ ، قال: «...وَمَنْ قَامَ ليلةَ القَدْرِ إيمانًا واحْتسَابًا غُفِر له مَا تقدَّمَ مِنْ ذنْبِهِ»[١٣].

قال الإمامُ الخطابيُّ–يرحمه الله–: "قوله: «**إيمانًا واحتسابًا**»، **أي نيَّةً وعزيمةً**، وهوَ: أنْ يصومَه على

[١١] أخرجه مسلم برقم ٤٤٠٩.
[١٢] المنهاج للإمام النووي١١/ ٧٧.
[١٣] يُنظر: صحيح البخاري برقم ٣٧، ٣٨، ٢٠١٤، ومسلم برقم ٧٥٩، ٧٦٠.

وجْه التَّصديقِ بِه، والرَّغبةِ في ثوابِه، طيبة نفسُه بذلك، غير كارهة له، ولا مستثقلة لصيامه، أو مستطيلة لأيامه"[١٤].

وقال الإمام النوويُّ –يرحمه الله–: "مَعْنَى «إِيمَانًا»: تَصْدِيقًا بِأَنَّهُ حَقٌّ مُقْتَصِدٌ فَضِيلَتَهُ، وَمَعْنَى «احْتِسَابًا»: أَنْ يُرِيدَ اللَّهَ تَعَالَى وَحْدَهُ لَا يَقْصِدُ رُؤْيَةَ النَّاسِ وَلَا غَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا يُخَالِفُ الْإِخْلَاصَ"[١٥].

ويومُ عرفةَ ويومُ عاشوراء مِن الأيَّامِ العظيمةِ عند الله تعالى؛ وجاء عن النبي ﷺ بيانُ مَن يؤجرُ على صيامهما؛ فعنْ أبي قتادة رضي الله عنه أن رسولَ الله ﷺ قال: «صيامُ يومِ عرفةِ؛ **أحْتسبُ على الله** أنْ يكفرَ السَّنةَ التي قَبله، والسَّنة التي بعدهُ، وصيامُ يومِ عاشوراء؛ **أحْتسِب على الله** أنْ يكفرَ السَّنة التي قبْلَهُ»[١٦].

وبالنية الطيبة؛ ينالُ العبدُ أجر العملِ الصالحِ الذي لمْ يعملْه وقد كانَ في نيّته أنْ يعملَه، لكنْ حال دونه حائلٌ، فعنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه، عنِ النَّبِيِّ ﷺ، قالَ: «مَنْ أَتَى فِرَاشَهُ وَهُوَ **يَنْوِي** أَنْ يَقُومَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ فَغَلَبَتْهُ عَيْنَاهُ حَتَّى أَصْبَحَ؛ كُتِبَ لَهُ مَا نَوَى، وَكَانَ نَوْمُهُ صَدَقَةً عَلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ»[١٧].

وإذا حلَّ الإخلاص في العبادة؛ نالَ العبدُ البركات، وحصل له تفريجُ الكربات، وما قصة الثلاثة الذين انطبقتْ عليهم الصخرة ببعيد، فقد كان مِن دعائِهم: «**اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابتِغَاء وَجْهِكَ**»[١٨]، وإذا حلَّ الإخلاص في العبادة؛ جعَلَ ما عجِزَ العبدُ عنْ فعله عبادةً؛ إذا صاحبَ ذلك حُسْن نيَّة، ففي حديث عبدِ اللهِ بنِ عباسٍ رضِيَ اللهُ عنهما، عن رَسُول الله ﷺ فيما يرويه عن ربهِ تباركَ وتعالى قالَ: «إِنَّ اللهَ كَتَبَ الحَسَنَاتِ والسَّيِّئَاتِ ثُمَّ بَيَّنَ ذلِكَ، فَمَنْ **هَمَّ بحَسَنَةٍ** فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَها اللهُ تَبَارَكَ وتَعَالى عِنْدَهُ حَسَنَةً كامِلَةً ...»[١٩].

والرياء داءٌ خطيرٌ، وإذَا خَالطَ العملَ أَوْدىَ بصاحبه إلى الهلاكِ يومَ القيامة، وقد حذَّر منه النَّبيُّ ﷺ، بلْ بيَّن أنَّ صاحبَه أوّلُ ما يُقضى عليه يوم القيامة، كما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول اللهﷺ يقول: «إنَّ أولَ الناسِ يُقضَى يومَ القيامة عليهِ رجلٌ استُشهد، فأُتي به فعرَّفه نعمَه فعرَفها، قال: فمَا عملتَ فيهَا؟ قال: قاتلتُ فيكَ حتّى استُشهدتُ، قال: كذبتَ، ولكنَّك قاتلتَ لأنْ يُقال: جرِيء، فقدْ قيلَ، ثمّ أُمرَ به فسُحب على وجْهِه حتى أُلقيَ في النارِ، ورجلٌ تعلمَ العِلمَ، وعلّمه وقرأَ القرآنَ، فأُتي بِه فعرَّفه نعمَه فعرَفها، قالَ: فمَا عملتَ فيها؟ قالَ: تعلمتُ العِلمَ، وعلّمتُه وقرأتُ فيك القرآنَ، قالَ: كذبتَ، ولكنّك تعلمتَ العِلمَ ليُقالَ: عالمٌ، وقرأتَ القرآنَ ليُقال: هو قارئٌ، فقدْ قيلَ، ثمّ أُمر بهِ فسُحب على وجهِه حتى أُلقيَ في النّار، ورجلٌ وسّع الله عليهِ، وأَعطاهُ مِن أصنافِ المالِ كلِّه، فأُتي به فعرَّفه نعمَه فعرَفها، قال: فما عملتَ فيها؟ قالَ: ما تركتُ

[١٤] أعلام الحديث ١/ ١٦٩ .
[١٥] المنهاج للإمام النووي ٦/ ٣٩ .
[١٦] أخرجه مسلم برقم ١١٦٢ .
[١٧] أخرجه النسائي برقم ١٧٨٧، وابن خزيمة في صحيحه برقم ١١٧٢، وابن حبان في صحيحه برقم ٢٥٨٨.
[١٨] أخرجه البخاري برقم ٢٢١٥ ومسلم ٢٧٤٣.
[١٩] أخرجه البخاري برقم ٦٤٩١ ومسلم برقم ١٣١.

مِن سبيلٍ تحبُّ أنْ يُنفقَ فيها إلا أنفقتُ فيها لكَ، قالَ: كذبتَ، ولكنّك فعلتَ ليُقالَ: هو جوادٌ، فقدْ قيلَ، ثمّ أُمر به فسُحب على وجهِه، ثم أُلقي في النّار»[٢٠]، وقد جاء التحذيرُ من الرياء والعُجب بالعمل، وحبِّ مدْحِ الناسِ وثنائهم، فقد قالﷺ: «مَنْ سمَّعَ سَمَّعَ اللهُ بهِ، ومَن يُرائي يُرائي اللهُ بهِ»[٢١]-نسأل الله السلامةَ والعافيةَ-.

وممَّا يُساعد على تحقيق الإخلاص؛ إخفاءُ ما يُمكن إخفاؤه من العبادات، وأداءُ ما يُمكنُ تأديته في السِّر.

وقدْ قدَّم الله تعالى الإنفاق بالسِّرِّ على الإنفاق بالعلانية فقال سبحانه: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ **[البقرة:٢٧٤]**.

وقدْ بيَّن القرآنُ الكريمُ، والسُّنّة النبويةُ ثمرةَ إخفاءِ العملِ الصّالحِ، فقدْ قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ **خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ**﴾**[البقرة:٢٧١]**، قال الشيخ السعدي: "خَيْرٌ للمتصدِّقِ، ويتضمَّنُ ذلك حصولَ الثواب، قال: **{وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ}** فَفِيه دفْعُ العِقاب"[٢٢].

ومِن السَّبعةِ الذي يظلُّهم الله في ظِلِّه يومَ لا ظِلَّ إلا ظلُّه؛ قال النبيُّ ﷺ: «وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بصدقةٍ **فأخْفاها** حَتى لا تعْلمَ شمالُه مَا تُنفقُ يمينُه»[٢٣].

قالَ الإمامُ النوويُّ: "قَالَ الْعُلَمَاءُ: وَذَكَرَ الْيَمِينَ وَالشِّمَالَ مُبَالَغَةً فِي الْإِخْفَاءِ وَالِاسْتِتَارِ بِالصَّدَقَةِ، وَضَرَبَ الْمَثَلَ بِهِمَا لِقُرْبِ الْيَمِينِ مِنَ الشِّمَالِ وَمُلَازَمَتِهَا لَهَا، وَمَعْنَاهُ: لَوْ قَدَّرْتَ الشِّمَالَ رَجُلًا مُتَيَقِّظًا لَمَا عَلِمَ صَدَقَةَ الْيَمِينِ؛ لِمُبَالَغَتِهِ فِي الْإِخْفَاءِ، وَنَقَلَ الْقَاضِي عَنْ بَعْضِهِمْ أَنَّ الْمرَادَ: مَنْ عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ مِنَ النَّاسِ، وَالصَّوَابُ الْأَوَّلُ"[٢٤].

وقد استجابَ الله تعالَى دعاء زكريّا عليه السَّلام؛ وقدْ وصفَ دعاءَه بأنّه كانَ خفيًّا فقال: ﴿إِذْ نَادَى ربَّه نِداءً خَفِيّا﴾ **[مريم:٣]**، قال قتادة في هذه الآية: "أَيْ سِرًّا، وإنَّ الله يَعلمُ القلبَ التّقيَّ، ويَسمعُ الصوتَ الخفيَّ"[٢٥]، قال الشيخُ السّعديُّ: "ونَاداه نداءً خفيًّا؛ ليكونَ أكملَ وأفضلَ وأتمَّ إخلاصًا"[٢٦].

وبذلك أمر الله تعالى عبادَه فقال: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ **[الأعراف:٥٥]**، وما أجملَ ذِكْرُ العبدِ لربّه تعالى في نفْسِه، امْتثالًا لأمْر ربّه جلَّ وعلا، حيث قال سبحانه: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي **نَفْسِكَ** تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ [الأعراف:٢٠٥]، قال مجاهد: "أُمِرُوا أَنْ يَذْكُرُوهُ فِي الصُّدُورِ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً"[٢٧]، ومَنْ ذَكَر اللهَ تعالى في نفْسه؛ ذكرَه اللهُ تعالَى في نفْسه، وفي الحديث القدسي؛ قال الله تعالى: «فإنْ ذَكَرَني في نفْسِهِ ذَكَرتُه في نَفْسِي»[٢٨].

---

[٢٠] أخرجه مسلم برقم ١٩٠٥.
[٢١] أخرجه البخاري برقم ٦٤٩٩، ومسلم برقم ٢٩٨٧.
[٢٢] المصدر السابق ص: ١١٦.
[٢٣] أخرجه البخاري برقم ١٤٢٣ .
[٢٤] المنهاج للإمام النووي ٧/ ١٢٢ .
[٢٥] تفسير القرآن العظيم٥/ ٢١١ .
[٢٦]تيسير الكريم الرحمن ص: ٤٨٩ .
[٢٧] جامع البيان ١٠/ ٦٦٨ .
[٢٨] أخرجه البخاري برقم ٧٤٠٥، ومسلم برقم ٢٦٧٥ .

ومَنْ ذَكَر اللهَ تعالى في نفْسِه خاليًا؛ ففاضتْ عيناه خوفًا وشوقًا؛ كانَ مِن السَّبعة الذي يُظلهم الله تعالى في ظلِّه، يومَ لا ظلَّ إلا ظلُّه، قال النبيُّ ﷺ: «سَبْعةٌ يُظلِّهم اللهُ تعالى في ظِلِّه يوم لا ظِلَّ إلا ظِلُّه» وذَكَر منهم: «**وَرَجُلٌ ذَكَرَ الله خَاليًا**، ففاضَتْ عَيْنَاه»[٢٩].

قالَ الإمامُ النوويُّ: "فِيهِ فَضِيلَةُ الْبُكَاءِ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَفَضْلُ طَاعَةِ السِّرِّ لِكَمَالِ الْإِخْلَاصِ فِيهَا"[٣٠]، وقال الحافظُ ابن رجب: "فهذا رَجُلٌ يَخشى الله فِي سِرِّه، ويُراقبه فِي خلوتِه، وأفضلُ الأعمالِ خشيةُ الله فِي السِّرِّ والعَلانية، وخشيةُ الله فِي السِّر إنَّما تَصدرُ عَن قوةِ إيمانٍ، ومجاهدةٍ للنَّفسِ والهوى، فإنَّ الهوى يدعو فِي الخلوةِ إلى المعاصي، ولهذا قيل: إنَّ مِن أعزِّ الأشياءِ الورعَ فِي الخلوة.

وذِكر الله يشمل ذكر عظمته وبطشه وانتقامه وعقابه؛ والبكاء الناشئ عَن هَذَا هُوَ بكاءُ الخوفِ، ويَشملُ ذِكْرَ جَمالِه وكمالِه وبِرِّه ولطفِه وكرامتِه لأوليائِه بأنواعِ البِرِّ والألطافِ، لا سِيما برؤيتِه فِي الجنة، والبكاءُ الناشئُ عَن هَذَا هُوَ بكاء الشَّوقِ.

ويدخل فِيه – أيضاً –: رَجُلٌ ذَكَر أنَّ الله مَعَهُ حيثما كَانَ، فتذكَّر معيتَه وقربَه واطلاعَه عَلِيهِ حيث كَانَ"[٣١].

وقدْ أخرج الإمام الترمذيُّ[٣٢] بسندِه عنْ عقبةَ بنِ عامرٍ ﵁، قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «الجاهرُ بالقرآنِ كالجاهرِ بالصَّدقةِ، والمسرُّ بالقرآنِ، كالمسرِّ بالصدقة»، ثمَّ قال معقِّبًا على الحديث: "ومعنى هذا الحديث: أنَّ الذي يُسِرُّ بقراءةِ القرآنِ أفضلُ مِنَ الذي يجهرُ بقراءةِ القرآنِ، لأنَّ صدقةَ السِّرِّ أفضلُ عِند أهلِ العِلْمِ مِن صدقةِ العَلانية، وإنَّما معنى هذا عِند أهلِ العِلمِ لكيْ يأمنَ الرَّجُلُ مِن العُجْبِ، لأنَّ الذي يُسِرُّ العملَ لا يُخاف عليْهِ العُجبُ؛ مَا يُخاف عليْه من علانِيتِه".

ولهذا حرص النبي ﷺ على تأدية بعض النوافلِ في المسجد؛ وبعضَها في البيت، فعنِ ابنِ عمرَ رضي الله عنهما، قالَ: قال رسولُ الله ﷺ: «اجْعلوا في بيوتِكم مِنْ صلاتِكمْ، ولا تَتّخذوها قبورًا»[٣٣].

وعنْ جابر بنِ عبدِالله رضي الله عنهما، قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «إذَا قَضَى أحدُكم الصلاةَ في مسْجدِه، فلْيجعلْ لبيتِه نصيبًا مِن صلاتِه، فإنَّ الله جاعلٌ في بيتِه مِن صلاتِه خيرًا»[٣٤].

وأخبرتْ أمُّ المؤمنين حفصةُ رضي الله عنها عن رسولِ الله ﷺ أنّه: «كان إذا أذَّن المؤذنُ وطلعَ الفجرُ صلّى ركعتين»[٣٥]، وكانَ يصليها في بيته، كما قالتْ حفصةُ رضي الله عنها: «كانَ رسولُ الله ﷺ يُصلّي ركعتي الفَجرِ قبْل الصُّبحِ في **بيتي** يُخفّفهما جِدًّا»[٣٦].

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ رضيَ الله عنْهما ، قَالَ: «صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، رَكْعَتَيْنِ قَبْلَ الظُّهْرِ، وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَهَا،

---

[٢٩] أخرجه البخاري برقم ١٤٢٣، وقد تقدم.
[٣٠] المنهاج للإمام النووي ٧/ ١٢٢
[٣١] فتح الباري لابن رجب ٦/ ٥٠
[٣٢] أخرجه الترمذي في الجامع برقم ٢٩١٩ وقال: "هذا حديث حسن غريب".
[٣٣] أخرجه البخاري برقم ١١٨٧، ومسلم بنحوه برقم ٧٧٧ .
[٣٤] أخرجه مسلم برقم ٧٧٨ .
[٣٥] أخرجه البخاري برقم ١١٨١، ومسلم برقم ٧٢٣ .
[٣٦] أخرجه الإمام أحمد في المسند برقم ٢٦٤٣٨ .

وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَ الْمَغْرِبِ فِي بَيْتِهِ، وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَ الْعِشَاءِ فِي بَيْتِهِ»، قَالَ: وَحَدَّثَتْنِي حَفْصَةُ: «أَنَّهُ كَانَ يُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ حِينَ يَطْلُعُ الْفَجْرُ، وَيُنَادِي الْمنَادِي بِالصَّلَاةِ، وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَ الْجُمُعَةِ فِي **بَيْتِهِ**»[٣٧].

وقيامُ الليلِ في البيتِ أفضلُ، فلمَّا امتنع النَّبِيُّ ﷺ عن إمامةِ الصحابةِ في قيامِ الليلِ رمضان خشْية أن تُفرضَ عليهم؛ دلّهم على البديل، فقال لهم:«...فَعليكُم بالصَّلاةِ في **بيوتِكُم**، فإنَّ خيرَ صلاةِ المرءِ في **بيتِهِ** إلا الصَّلاةَ المكتوبةَ»[٣٨].

والمسْلمُ قدْ يذكر الله تعالَى في مسْجدِهِ، وفي عملِهِ، لكنَّه إذا ذَكر الله تعالى في بيتِهِ؛ فإنّه يُحْييه، فعنْ أبي موسى رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ قالَ: «مَثَلُ **البيْتِ** الذِي يُذْكرُ الله فيهِ؛ **والبيْتِ** الذي لا يُذكر الله فيه؛ مَثَلُ الحيِّ والميِّتِ»[٣٩].

وقراءةُ سورةِ البقرةِ في البيْتِ تطردُ الشياطينَ، فعَنْ أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسولَ اللهﷺ قالَ: «لا تَجْعلوا **بيوتَكم** مقابرَ، إنَّ الشيطانَ يَنفرُ مِنَ **البيْتِ** الذي تُقْرأُ فيه سورةُ البقرةِ»[٤٠].

فإحْياءُ البيوتِ بِذكرِ الله تعالى، وبقراءةِ القرآن الكريمِ، وبنوافلِ الصلواتِ؛ يُحْييه، ويُحْيي أهْلَه، ويجعلهم يقتدونَ بذلك الفعل، ثمَّ هذا مما يُعينُ على الإخلاصِ، وإخفاءِ ما يُمكن إخفاؤُه من العباداتِ، لا سيما ونحنُ في زمنٍ ابتلينا فيه بمنْ يُظهر كلَّ شيء مِن حياتِه؛ حتى عباداته **!!** فأين هؤلاء من هدْي النبيِّ ﷺ؟

وهذا الهدْيُ النبيُّ الكريم؛ يُعينُ العبْدَ علَى الإخلاصِ، ويَقيهِ مِن داءِ العُجْبِ.

وقدْ يُستثنَى مِن ذلك؛ مَن يكونُ بعملِهِ الصالحِ قدوةً للناسِ، فيروْنه يعملُ العملَ؛ فيقتدونَ به، ويتأسَّوْنَ به، فينالُ أجرَه، وأجرَهم، وهذا مِن هدْي النبيِّﷺ، كما جاء في حديثِ جريرٍ رضي الله عنه قالَ: جاءَ ناسٌ مِن الأعرابِ إلى رسولِ الله ﷺ عليهم الصُّوفُ، فرأى سوءَ حالِهم، قدْ أصابتْهم حاجةٌ، فحثَّ الناسَ على الصدقةِ، فأبْطؤوا عنه، حتى رُئِي ذلك في وجهِهِ. قالَ: ثمَّ إنَّ رجلًا مِن الأنصارِ جاءَ بِصُرَّةٍ مِن وَرِقٍ، ثمَّ جاء آخرُ، ثمّ تتابَعوا، حتى عُرف السُّرورُ في وجهِهِ، فقالَ رسولُ الله ﷺ: «مَنْ سَنَّ في الإسلامِ سُنَّةً حسنةً، فعُمِل بها بعْدَه، كُتِب له مِثْلُ أجْرِ مَن عَمِل بها، ولا يَنقُص مِن أجورِهم شيءٌ»[٤١]، "وَكَانَ الْفَضْلُ الْعَظِيمُ؛ لِلْبَادِي بِهَذَا الْخَيْرِ وَالْفَاتِحِ لِبَابِ هَذَا الْإِحْسَانِ"[٤٢].

فالإخلاص لله طوق النّجاة، وهو سبيل الخلاص مِن حظوظ النّفس، ولهذا حرص النبيُّ ﷺ عليه، ودلّ أصحابه وأرشدهم إليه.

---

[٣٧] أخرجه الإمام أحمد في المسند برقم ٤٥٠٦بلفظه، وأخرجه البخاري برقم ٩٣٧ وَ ١١٧٢؛ ومسلم برقم ٧٢٩ بألفاظ متقاربة.
[٣٨] أخرجه البخاري برقم ٦١١٣، ومسلم برقم ٧٧٩ .
[٣٩] أخرجه مسلم برقم ٧٧٩ .
[٤٠] أخرجه مسلم برقم ٧٨٠ .
[٤١] أخرجه مسلم برقم ١٠١٧، والنّاسُ كلما سمعوا هذا الحديث العظيم؛ وتحمّسوا للعمل الصالح؛ نالَ ذلك الصحابي من الأجر العظيم؛ ما لا يعلمه إلا الله تعالى.
[٤٢] شرح النووي على مسلم ٧/ ١٠٤.

المبحث الثاني: محبة الله تعالى ورسوله ﷺ محبة الله تعالى ورسوله ﷺ

وهي مِن أجلِّ المقامات، وأسْمى العبادات، مَن حقَّقها نالَ شرفًا عظيما، وحاز فضلًا كبيرا .. إنها منزلةٌ عظيمة مِن منازل السائرين، ومقامٌ شريف من مقامات العابدين.

محبة الله تعالى ورسوله ﷺ؛ من أعمال القلوب العظيمة، ومَن حقَّقها ذاقَ طعمَ الإيمانِ، وتلذَّذ بطاعةِ الرّحمن، وأَنِسَ بالعبادةِ، ونالَ حقيقةَ السّعادةِ.

وقدْ بيَّن النّبيُّ ﷺ الطريقَ إلى ذلك، فعنْ أنسِ بنِ مالكٍ رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ قال: «ثلاثٌ مَنْ كُنَّ فيهِ وجدَ حلاوةَ الإيمانِ[٤٣]: أنْ يكونَ الله ورسولُه أحبَّ إليهِ ممّا سواهمَا، وأنْ يحبَّ المرءَ لا يحبُّه إلا لله، وأنْ يَكرهَ أنْ يعودَ في الكفرِ كمَا يَكرهُ أنْ يقذفَ في النَّارِ»[٤٤].

وعَنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رضي الله عنه، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «ذَاقَ طَعِمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا»[٤٥].

وعلاقة المحبةِ القلبيةِ بالعباداتِ الظاهرةِ ظاهرٌ وواضحٌ، وبقدْرِ هذه المحبة في القلْب؛ بقدْر ما ينشطُ العبدُ للعبادةِ، ويتحمَّلُ مشاقَّها، ويجاهدُ نفْسه عليها، بلْ ويسْعى لأنْ يأتيَ بها علَى أعلَى درجاتِها، وأجملِ صفاتِها.

نعمْ؛ فإنَّ العابدين يشتاقونَ لملاقاةِ ربهم، ويطمئنّون في صلاتهم، ويتلذَّذون في دعائهم، ولا يجدونَ سعادتَهم إلا في العبادة، وذلك لأن حبَّ الله تعالَى قدْ ملأَ قلوبَهم.

وهذا إمامُ العابدين، وقدوةُ السالكين نبيُّنا محمدٌ ﷺ كانَ يجدُ راحتَه في عبادةِ الصلاةِ، وكانَ يقول لبلالٍ رضي الله عنه: «قمْ يا بلالُ فأرحْنا بالصّلاة»[٤٦].

والقرآن الكريمُ كلامُ الله تعالى، **ومَن أحبَّ الله تعالى نالَ ثمرةَ ذلك، وأكثرَ مِن تلاوةِ كلامه**، وتلذَّذ بسورِهِ وآياته، لأنه كلامُ الله، ويتحدثُ عن صفاتِه، فمحبّته لله تعالى جعلتْه يتلذّذ بكتابه، ويُكرّر آياتِه، فعنْ عائشةَ رضي الله عنها: أن النبيَّ ﷺ بعثَ رجلًا علَى سريَّة، وكانَ يَقرأُ لأصحابِه في صلاتِهم، فيختمُ بـ : ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾[الصمد: ١]، فلمّا رجعوا ذكروا ذلك للنبيِّ ﷺ فقالَ: «سَلوهُ لأيِّ شيءٍ يَصنعُ ذلكَ؟»، فسَألوُه، فقالَ: **لأنّها صفةُ الرّحمن، وأنا أُحبُّ أنْ أقرأَ بهَا**، فقالَ النبيّ ﷺ: «أخْبروه أنَّ الله يُحبُّه»[٤٧].

ومَن أحبَّ الله تعالَى بصدقٍ؛ أحبَّه الله، والله تعالى يقول: ﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾[المائدة: ٥٤]، وقدْ قدَّم الله تعالى محبتَه لهم علَى محبتهم له، وإذا أحبَّ الله عبْدًا؛ فلا تسَلْ حينها عنْ ذلك العبد، فهوَ المحبوبُ عند مولاه، الموفَّقُ في دنياه، فعنْ أبي هريرةَ رضي الله عنه قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «إنَّ الله تباركَ وتعالَى إذا أحبَّ عبدًا نادَى جبريلَ: إنَّ الله قدْ أحبَّ فلانًا فأحبّه، فيحبُّه جبريلُ، ثم ينادي جبريلُ في

---

[٤٣] قال الإمام النووي يرحمه الله: حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ اسْتِلْذَاذُ الطاعات وتحمل المشقات في رضى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَإِيثَارُ ذَلِكَ عَلَى عَرَضِ الدُّنْيَا. شرح النووي على مسلم (٢/ ١٣) .

[٤٤] أخرجه البخاري برقم ١٦، ومسلم برقم ٦٧ .

[٤٥] أخرجه مسلم برقم ٥٦ .

[٤٦] أخرجه أبو داود برقم ٤٩٨٦، بسندٍ حسن.

[٤٧] أخرجه البخاري برقم ٧٣٧٥، ومسلم برقم ٨١٣.

السماء: إنّ الله قدْ أحبَّ فلانًا فأحبُّوه، فيحبُّه أهلُ السماءِ، ويوضعُ له القَبولُ في أهلِ الأرضِ»[٤٨].

ومَن أحبَّ الله تعالَى بصدقٍ؛ حرص على ما يُحبُّه الله تعالى، ومِن ذلك أداء الفرائض والإكثار من النوافلِ والاستمرار عليها، بلْ وينال العبدُ ثمرة تلك المحبةِ؛ وهي أنَّ الله تعالى يُحبُّه، فعنْ أبي هريرةﷺ، قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «إنَّ الله قالَ: مَنْ عَادَى لي وليًّا فقدْ آذنتُه بالحربِ، ومَا تقرَّبَ إليَّ عبْدي بشيءٍ أحبّ إليّ ممّا افترضتُ عليهِ، ومَا يَزالُ عبْدي يتقربُ إليَّ بالنوافلِ حتّى أحبَّه، فإذا أحببتُه: كنتُ سمعَه الذي يَسمعُ به، وبصرَه الذي يُبصرُ به، ويدَه التي يبطشُ بها، ورجلَه التي يَمشي بها، وإنْ سَألني لأعطينَّه، ولئن اسْتعاذني لأُعيذنّه، وما ترددتُ عنْ شيءٍ أنَا فاعلُه تردُّدي عنْ نفْسِ المؤمنِ، يكرهُ الموتَ وأنَا أكرهُ مساءتَه»[٤٩].

ومَن ادّعى محبَّة الله تعالى لزمه اتباعُ هدْي رسوله ﷺ في سائر عباداته، والله تعالى يقول: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[الذاريات: ٣١].

ومَن ادّعى الإيمانَ بالله تعالى لزمه تقديم محبة رسوله ﷺ على جميع المحبوبات الدنيوية، فعنْ أنسٍ قالَ: قالَ النبيُّ: ﷺ :«لا يؤمنُ أحدُكم، حتّى أكونَ أحبَّ إليه مِن والدِه وولدِه والنّاسِ أجمعينَ»[٥٠].

[٤٨] أخرجه البخاري برقم ٧٤٨٥، ومسلم برقم ٢٦٣٧.
[٤٩] أخرجه البخاري برقم ٦٥٠٢.
[٥٠] أخرجه البخاري برقم ١٥، ومسلم برقم ٦٩.

ومَن اجتهدَ في تحقيقِ محبةِ الله تعالى ومحبة رسولهﷺ؛ واجْتهد في العبادةِ نالَ أجرًا عظيما كما سبق، فإنْ حصل منه خللٌ أو تقصيرٌ في العباداتِ الظاهرة؛ نفعتْه تلك المحبة، وشفعتْ له يوم القيامة، فعنْ أنسِ بنِ مالكٍ : أنَّ رجلًا سألَ النبيَّ ﷺ: متَى السَّاعة يا رسول الله؟ قالَ: «مَا أعددتَ لها؟» قالَ: مَا أعددتُ لها مِن كثيرِ صلاةٍ ولا صومٍ ولا صدقةٍ، ولكنّي أحبُّ اللهَ ورسولَه، قالَ: «أنتَ معَ مَن أحببتَ»[٥١]، ولاشكّ أنَّ إخلاصَه وصدقَه في محبتِه مِن أعظمِ القرباتِ عند الله تعالى.

وخلاصةُ ذلك؛ أنَّه بقدْر محبةِ العبد لله تعالى ولرسوله ﷺ؛ بقدْر ما يجتهدُ في أداء العبادة، والإحسانِ فيها، والتلذّذ بها.

اللهم إنا نسألك حبَّك وحبَّ مَن يحبُّك وحبَّ العمل الصالح الذي يُقربنا إلى حبّك.

المبحث الثالث: الاستعانة بالله تعالى علَى القيام بالعبادة

إنَّ العبدَ المسلمَ؛ إذا أرادَ أنْ يقومَ بعملٍ مّا؛ اسْتعان بالله تعالى، ولجأَ إلى موْلاه، لأنّه يعلم أنّه لنْ يستطيعَ أنْ يؤديَ أيَّ أمرٍ إلا بمعونةِ الله تعالى، وهو كذلك يطلب العوْنَ مِن الله تعالى في كلِّ صلاة، قال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ **[الفاتحة:٥]** .

وهي وصيَّة النبيّ ﷺ لكلِّ مسلمٍ، فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «احْرِصْ عَلى ما يَنفعُك، **واسْتعن بالله** ولا تَعْجَز»[٥٢].

[٥١] أخرجه البخاري برقم ٦١٧١ ، ومسلم برقم ٢٦٤٠.
[٥٢] أخرجه مسلم برقم ٢٦٦٤.

قال الإمامُ النوويُّ: "معناه: احْرِصْ على طاعةِ الله تعالى والرغبةِ فيما عنده، واطْلب الإعانة من الله تعالى على ذلك، ولا تعْجزْ ولا تكْسلْ عَن طلبِ الطاعةِ، ولا عنْ طلبِ الإعانة"[٥٣].

بلْ إنّ أعظمَ ما يُسْتعانُ الله تعالى عليْه؛ عبادتُه، وأعظمَ ما ينالُه العبدُ مِن ربِّه أنْ يوفّقه لعبادتِه، ولهذا المعنَى العظيمِ؛ نبَّه النبيُّ الكريمُ ﷺ صاحبَه مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ رضي الله عنه، فقدْ جاء عن عُقْبَةَ بْنَ مُسْلِمٍ، أنَّه قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحُبُلِيُّ، عَنِ الصُّنَابِحِيّ، عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه ، قَالَ: أَخَذَ بِيَدِي رَسُولُ الله ﷺ ، فَقَالَ: «إِنِّي لَأُحِبُّكَ يَا مُعَاذُ»، فَقُلْتُ: وَأَنَا أُحِبُّكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «فَلَا تَدَعْ أَنْ تَقُولَ فِي كُلِّ صَلَاةٍ: رَبِّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ»[٥٤].

قال الإمامُ ابنُ القيّم: "فَأَنْفَعُ الدُّعَاءِ طَلَبُ الْعَوْنِ عَلَى مَرْضَاتِهِ، وَأَفْضَلُ الْمَوَاهِبِ إِسْعَافُهُ بِهَذَا الْمَطْلُوبِ، وَجَمِيعُ الْأَدْعِيَةِ الْمَأْثُورَةِ مَدَارُهَا عَلَى هَذَا، وَعَلَى دَفْعِ مَا يُضَادُّهُ، وَعَلَى تَكْمِيلِهِ وَتَيْسِيرِ أَسْبَابِهِ، فَتَأَمَّلْهَا.

وَقَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ قَدَّسَ الله رُوحَهُ: تَأَمَّلْتُ أَنْفَعَ الدُّعَاءِ فَإِذَا هُوَ سُؤَالُ الْعَوْنِ عَلَى مَرْضَاتِهِ، ثُمَّ رَأَيْتُهُ فِي الْفَاتِحَةِ فِي ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[الفاتحة: ٥]"[٥٥].

ولِهذا جاء في السُّنّة المطهّرة عنْ عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إذَا قالَ المؤذِّنُ: الله أكبرُ الله أكبرُ، فقالَ أحدُكم: اللهُ أكبرُ اللهُ أكبر، ثمّ قال: أشهدُ أنْ لا إله إلا الله، قالَ: أشْهدُ أنْ لا إله إلا الله، ثمَّ قال: أشهدُ أنَّ محمدًا رسولُ الله قالَ: أشْهدُ أنَّ محمدًا رسولُ الله، ثمَّ قالَ: حيَّ على الصّلاة، قالَ: لا حولَ ولا قوَّةَ إلا بالله، ثمَّ قالَ: حيَّ على الفلاحِ، قالَ: لا حولَ ولا قوَّةَ إلا بالله... »[٥٦].

فيقولُ السامعُ: لا حولَ ولا قوة لي؛ إلا بالله .. فعليْه اعْتمادِي حتّى في صلاتي.

قال الإمامُ الطّيبي: "أيْ: لا حركةَ ولا حِيلةَ ولا خلاصَ مِن المكروه؛ ولا قوةِ على الطاعةِ إلا بتوفيقِ الله"[٥٧].

فسؤالُ الله تعالى العوْن على العبادة وصيةُ النبيِّ ﷺ، وتوفيقُ الله تعالى العبدَ للعبادةِ واصطفاؤُه لها؛ نعمةٌ تستوجبُ الشّكر.

نعمْ؛ إنَّها نعمةٌ يستشعرها منْ ذاقَ حلاوةَ الإيمان، ولذَّة العبادة.

وكمْ مِن أناسٍ؛ تمنَّوْا أنْ يكونوا من أصحاب الصفِّ الأوّل، أو مِن أهل الصّيام، أو مِن أهلِ الصّدقة، أوْ منِ أهل القرآن، أوْ غيرِ ذلك من أنواعِ العبادات؛ لكن حالَ بينهم وبينها حائلٌ، وصدَّهم عنها صادٌّ؛ والعياذ بالله .

ولهذا؛ كانَ مِن دعاء النبيِّ ﷺ: «اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ، صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ»[٥٨].

---

[٥٣] المنهاج ١٦/ ٢١٥.
[٥٤] أخرجه الإمام أحمد في المسند برقم ٢٢١١٩، وأبو داود في السُّنن برقم ١٥٢٢، وابن خزيمة في الصحيح برقم ٧٥١ .
[٥٥] مدارج السالكين ١/ ١٠٠.
[٥٦] أخرجه مسلم برقم ٣٨٥ .
[٥٧] شرح المشكاة ٣/ ٩١٢.

فالعبْد المؤمنُ؛ يعلمُ أنّه بدون عَوْنِ مولاه له؛ فإنّه لنْ يستطيعَ أن يسير إلى الله تعالى، بلْ سيتخبَّط، وسيقف، لكنْ من استعانَ بالله أعانه الله، ومن اعتمد على مولاه فتح الله له الباب، ومِن أعظم ما يُستعان به الله تعالى؛ طاعته وعبادته، فاللهم أعنّا ذِكرك وشكرك وحُسن عباداتك.

المبحث الرابع: العبْد بين الخوف والرجاء

ومنْ أعمال القلوب التي يحرص عليها العبْد المسلم؛ **رجاءُ القبولِ ..مع الخوفِ والإشفاقِ مِن عدمِ القبولِ،**

وقد امتدح الله تعالى المؤمنين، فقال: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾[الإسراء:٥٧]، وعنْ عائشةَ رضي الله عنها ﷺ قالت: سألتُ رسولَ الله ﷺ عن هذه الآية: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾[المؤمنون:٦٠]، قالت عائشة: أهُم الذين يَشربون الخمرَ ويسرقونَ؟ قالَ: «لَا يا بنتَ الصِّديق؛ ولكنَّهم الذين يصومونَ ويُصلّون ويَتصدقون، **وهم يخافونَ أنْ لا تُقبل منهم** ﴿أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾ [المؤمنون:٦١]»[٥٩].

وعن ابنِ عمرَ رضي الله عنهما: كان رَسُولُ الله ﷺ يقولُ إذا أفْطرَ: «ذَهبَ الظَّمأُ وَابْتلَّتِ الْعُروقُ **وَثَبَتَ الْأَجْرُ إِنْ شاءَ الله**»[٦٠]، فهو حُسْنُ ظنٍّ بالله تعالى، أنْ يَقبلَ الصيام.

والعبْد المؤمنُ؛ قدْ جعلَ حياتَه لله تعالى، فإذا جاءتِ المنيَّة؛ خَتم حياتَه بحُسن الظنّ بالله تعالى، فعن جابرٍ بن عبدالله رضي الله عنهما، قال: سمعتُ النبيَّ ﷺ قبلَ وفاتِه بثلاثٍ، يقولُ: «لا يَموتَنَّ أحدكُم إلا وهوَ يُحسنُ بالله الظّنّ»[٦١].

والله تعالى لا يُخيِّب مَن رجاه، فمنْ عبَد الله وأحْسنَ الظنَّ به؛ نالَ ما تمنّى، وهذا وعْدٌ من الله تعالى، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال النبي ﷺ: «يقولُ الله تعالى: أنَا عندَ ظنِّ عبدِي بِي»[٦٢].

وإذا صاحبَ الرجاءُ الدعاءَ؛ حلت المغفرةُ من الله تعالى، فعنْ أَبِي ذَرٍّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ يَرْوِيهِ عَنْ رَبِّهِ قَالَ: «ابْنَ آدَمَ، إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ ولا أُبالي»[٦٣].

المبحث الخامس: تحقيق شكر الله تعالى على توفيقه للعبادة

ومِنْ أعمالِ القلوبِ التي يحرص عليها العبْدُ حالَ قيامِه بالعبادة؛ **شهودُ مِنَّةِ الله عليه في توفيقِه لهذه الطاعةِ، والقيامِ بواجبِ الشُّكرِ لله تعالى**، وهذا الأمرُ تجدْه حاضرًا في كتابِ الله تعالى، وبه تُخْتم آياتُ الشرائعِ والأحكام، بلْ بيَّن الله تعالى علاقةَ بعض العباداتِ بالشكر؛ وأنَّ الشكرَ ثمرةٌ يانعةٌ من ثمار

[٥٨] أخرجه مسلم برقم ٢٦٥٤.
[٥٩] أخرجه الترمذي في الجامع برقم ٣١٧٥.
[٦٠] أخرجه أبوداود برقم ٢٣٥٧، والدارقطني في السُنن برقم ٢٢٧٩ وقال: "تَفَرَّدَ بِهِ الْحُسَيْنُ بْنُ وَاقِدٍ ، وَإِسْنَادُهُ حَسَنٌ".
[٦١] أخرجه مسلم برقم ٢٨٧٧.
[٦٢] أخرجه البخاري برقم ٧٤٠٥، ومسلم برقم ٢٦٧٥.
[٦٣] أخرجه الإمام أحمد في المسند برقم ٢١٤٧٢، والترمذي في الجامع برقم ٣٥٤٠ وحسَّنه، واللفظ له.

تلك العبادة، فقال الله تعالى في آيات الصيام ﴿وَلِتُكْمِلُوا العِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ **تَشْكُرُونَ**﴾[البقرة: ١٨٥]، وفي آية التيمم: ﴿مَا يُرِيدُ اللهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ **تَشْكُرُونَ**﴾[المائدة:٦].

وقد امتدح الله تعالى نوحًا عليه السلام فقال عنه: ﴿إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾[الإسراء:٣]، وبيّن الله تعالَى أنَّ أكثرَ العبادِ عنْ شكره غافلون، فقال: ﴿وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾[سبأ:١٣].

ولهذا كانت وصيةُ النبيّ ﷺ لمعاذ رضي الله عنه حين قال له: «يَا مُعَاذُ؛ وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ»، فَقَالَ لَهُ مُعَاذٌ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللهِ وَأَنَا أُحِبُّكَ. فَقَالَ رسولُ اللهِ ﷺ : «أُوصيكَ يَا مُعَاذُ لَا تَدَعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ تَقُولُ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ، **وَشُكْرِكَ**، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ»[٦٤].

ولذا كانَ رسول الله ﷺ، إذا صلّى؛ قام حتى تَفطَّر رجلاه، فتقولُ له عائشة رضي الله عنها: يا رسول الله أتصنع هذا، وقد غُفِر لك ما تقدّم مِن ذنبِك وما تأخّر، فيقول لها: «يَا عَائِشَةُ؛ أَفلَا أَكونُ عبْدًا شكُورًا»[٦٥]، والشُّكر عبادةٌ تحتاج إلى توفيق وإعانةٍ من الله تعالى، ولهذا كانَ مِن دعاءِ النبيّ ﷺ : «رَبِّ اجْعَلْنِي لَكَ شَكَّارًا»[٦٦].

فحقيقةُ شكر الله تعالى؛ أنْ يُسخّر العبدُ نفْسه في طاعةِ الله، وأن لا يَمنَّ على الله، بلْ كلما ازدادَ نعمةً؛ ازدادَ في العبادةِ شكرًا لله تعالى.

المبحث السادس: بلوغُ مرتبةِ الإحسانِ في العبادة

الإحسانُ منزلةٌ عظيمة، وهوَ كما جاء في حديث عمرَ رضي الله عنه، عندما سأله جبريلُ عليه السلام: ما الإحسانُ؟ فقال له النبيُّ ﷺ: «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ؛ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»[٦٧]، قال الإمامُ النوويُّ – يرحمه الله–: "هذَا مِنْ جوامعِ الْكَلِمِ الَّتِي أُوتِيَها ﷺ، لِأَنَّا لَوْ قدَّرْنا أَنَّ أَحدَنا قامَ فِي عِبادَةٍ وَهُوَ يُعاينُ ربَّهُ سُبْحانَهُ وَتَعَالَى؛ لَمْ يَتْرُكْ شيْئًا مِمَّا يَقْدرُ عليْهِ مِنَ الْخُضوعِ وَالْخُشوعِ وَحُسْنِ السَّمْتِ وَاجْتِمَاعِهِ بِظَاهِرِهِ وَبَاطِنِهِ عَلَى الِاعْتِنَاءِ بِتَتْمِيمِهَا علَى أَحْسنِ وُجوهِهَا؛ إِلَّا أَتَى بِهِ"[٦٨].

وقدْ وعدَ الله تعالى المحسنين بالبُشرى، فقال سبحانه: ﴿لَنْ يَنَالَ الله لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ **وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ**﴾ [الحج:٣٧].

والإحسان يكونُ في سائر العبادات، فمثلاً؛ الإحسانُ في الصَّلاةِ: أنْ يستحضرَ العبدُ أنّه بين يدي الله تعالى، وأنّه يُناجيه، فتحصلُ له الطمأنينة، ويستشعر الكلماتَ التي يتلفظ بها، وغير ذلك، حتَّى ينالَ بذلك ثمرةَ الصَّلاة التي أخبر الله تعالى عنْها بقوله: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾[العنكبوت:٤٥]، ولذلك أمر النبيُّ ﷺ

---

[٦٤] سنده صحيح، وقد تقدم.
[٦٥] أخرجه مسلم برقم ٢٨٢٠.
[٦٦] الإمام أحمد برقم ١٩٩٧، والترمذي في الجامع برقم ٣٥٥١ وقال: "هذا حديث حسن صحيح"

[٦٧] أخرجه البخاري برقم (٥٠)، وهو أوّلُ حديث في صحيح مسلم.
[٦٨] المنهاج للإمام النووي ١/ ١٥٧.

المسيءَ صلاتِه أنْ يعيدها؛ لأنَّه لم يُتمّها على وَجْهها، فعنْ أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسولَ الله ﷺ دخلَ المسجدَ فدخلَ رجلٌ، فصلّى، فسلّم علَى النبيّ ﷺ، فرَدَّ وقالَ: «ارْجِع فصلِّ، فإنَّك لمْ تُصَلّ»[٦٩].

والإحسانُ في صدقةِ التطوعِ أنْ يخفيها إنْ كانتِ المصلحةُ تقتضي ذلك، وأنْ لا يمنَّ بها على الفقير، وأن يتخيَّر مِن ماله أطيبَه، حتى ينالَ بذلك طهارةَ القلبِ، وتزكية النفس كما قال الله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾[التوبة:١٠٣].

والإحسان في الصيامِ؛ يعني أنَّ العبْدَ لا يبتعد عن المفطّرات فحسْب؛ بلْ يجتنبُ سفاسفَ الأمورِ فعنْ أبي هريرة رضي الله عنه قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «قالَ الله: كلُّ عملِ ابنِ آدم له إلا الصيامَ، فإنّه لي وأنا أجزي به، والصيام جُنة، وإذا كانَ يومُ صومِ أحدكِم فلا يَرفُث ولا يَصْخَب، فإن سابَّه أحَدٌ أو قاتلَه، فلْيقُلْ إني امرؤٌ صائم»[٧٠].

وثمرةُ قراءةِ القرآن الكريم؛ هي التدبّر، والإحسانُ في التلاوةِ يؤدّي بصاحبه إلى ذلك، ولهذا نهَى النبيُّ ﷺ عنْ الاستعجالِ في التلاوةِ مِن أجْل إدراك الختمة، وقدْ نهى عبْدَالله بنَ عمرو رضي الله عنهما عنْ ذلك وقال له: «لَا يَفْقَهُ مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فِي أَقَلَّ مِنْ ثَلَاثٍ»[٧١].

وهكذا في بقية العبادات، حتى في عبادةِ النَّحر! فعنْ شدّادِ بنِ أوسٍ رضي الله عنه، قالَ: ثنتانِ حفظْتهما عنْ رسول الله ﷺ، قالَ: «إنَّ الله كتبَ الإحسانَ على كلِّ شيءٍ، فإذا قَتلْتم فأحْسنوا القِتْلة، وإذا ذبحتُم فأحْسنوا الذَّبح، ولْيُحُد[٧٢] أحدُكم شفرتَه، فلْيُرِحْ ذبيحتَه»[٧٣]، ومن الإحسانِ في عبادةِ النَّحْرِ؛ أنْ يُحدّ السّكين، وأنْ لا يُحدّها أمام الذبيحة، وأنْ لا يذبحَ الذبيحةَ أمامَ الذبيحةِ الأخرى، إلى غير ذلك.

فالإحسانُ في العبادةُ؛ يؤدّي بصاحبه إلى درجاتِ الكمالِ فيها، وينالُ العبدُ بها أعلى الدرجات.

المبحث السابع: الصّبرُ ومجاهدةُ النَّفْسِ على العبادة

مِنْ أعمالِ القلوبِ **مجاهدةُ النَّفْسِ على طاعةِ الله تعالى،** والله تعالى يقول: ﴿وَالَّذِينَ جاهَدُوا فِينا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾[العنكبوت: ٦٩].

وبذلك أمر الله تعالى فقال: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾[الحج: ٧٨]، قال الشيخ السعديُّ: "فالجهاد في الله حق جهاده، هو القيام التام بأمر الله"[٧٤]، وقدْ بيَّن الله تعالى ثمرةَ مجاهدةِ العبْد لنفسه فقال سبحانه: ﴿وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾[العنكبوت: ٦].

---

[٦٩] أخرجه البخاري برقم ٧٥٧، ومسلم برقم ٣٩٧.
[٧٠] أخرجه البخاري برقم ١٩٠٤، ومسلم برقم ١١٥١.
[٧١] أخرجه الإمام أحمد في المسند برقم ٦٥٣٥، وأبو داود في السنن برقم ١٣٩٠، والنسائي في الكبرى برقم ٨٠١٣، وابن حبان في صحيحه برقم ٧٥٨.

[٧٢] هُوَ بِضَمِّ الْيَاءِ يُقَالُ أَحَدَّ السِّكِّينَ وَحَدَّدَهَا وَاسْتَحَدَّهَا بِمَعْنًى. يُنظر: المنهاج للإمام النووي١٣/ ١٠٧، وقال النووي: "وَهَذَا الْحَدِيثُ مِنَ الْأَحَادِيثِ الْجَامِعَةِ لِقَوَاعِدِ الْإِسْلَامِ".
[٧٣] أخرجه مسلم برقم ١٩٥٥.
[٧٤] تيسير الكريم الرحمن ص: ٥٤٧.

وقدْ بيّن النبيُّ ﷺ أنَّ المجاهدَ حقيقةً مَن جاهدَ نفْسَه على طاعةِ الله تعالى، فعنْ فَضالَة بْنِ عُبَيْدٍ رضي الله عنه، قالَ: قالَ رَسولُ الله ﷺ في حَجَّةِ الوداعِ: «ألَا أُخْبِرُكُمْ بِالمؤْمِنِ؟ مَنْ أَمِنهُ النَّاسُ علَى أَمْوالِهِمْ وَأَنْفسِهِمْ، وَالمسْلِمُ مَنْ سَلِمَ النَّاسُ مِنْ لِسانِهِ وَيدِهِ، **وَالمجاهِدُ مَنْ جاهدَ نَفْسَهُ فِي طَاعَةِ اللهِ**، وَالمهاجِرُ مَنْ هَجَرَ الخطايَا وَالذُّنُوبَ»[٧٥].

ومرافقةُ النبيّ ﷺ في الجَنّةِ؛ مِن أعظمِ الأماني، وأسْمَى المطالبِ، لكنها تحتاجُ مِن العبدِ أنْ يُكثرَ من الصلاةِ، والصلاةُ ثقيلةٌ وشاقّةٌ، كما قال تعالى ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ [البقرة:٤٥]، والصلاةُ تحتاجُ إلى أنْ يُجاهدَ العبدُ نفْسَه عليها، كما جاء في حديثِ ربيعةَ بن كعبٍ الأسْلميّ رضي الله عنه، حيثُ قالَ: كنتُ أبيتُ معَ رسولِ الله ﷺ، فأتيتُه بوضوئِه وحاجتِه فقال لي: «سَلْ» فقلتُ: أسْألُك مرافقتَك في الجَنَّة. قالَ: «أَوَ غيْرَ ذلكَ» قلتُ: هوَ ذاكَ. قالَ: «**فأَعنِّي** على نفْسِكَ بكثرةِ السُّجودِ»[٧٦].

فالعاقلُ؛ يجاهدُ نفْسه في طاعةِ مولاه، موقنًا بأنَّ حقيقةَ الجهادِ؛ جهادُ النفس في طاعةِ الله.

وبغير مجاهدة النّفس؛ قدْ يُفوّتُ المرءُ على نفْسه كثيرًا من العبادات، ويستسلمُ للملذّات.

الخـاتمــة

وبعد؛ فقد ظهر ممَّا سبق:

١.حرص النبيّ ﷺ على تعليم أصحابه –رضوان الله عليهم– العبادات القلبية والظاهرة.

٢.بيان دور السُّنّة النبوية في إظهار العلاقة الوثيقة بين أعمال القلوب وبين العبادات الظاهرة.

٣.أنَّ السُّنّة النبوية مليئةٌ بالتوجيهات النبوية التي تبيّن مكانة أعمال القلوب.

٤.أنَّ ثمرة العبادات الظاهرة؛ صلاحُ القلبِ وتزكيته، وهذا لا يكون إلا باستحضار أعمال القلوب أثناء القيام بالعبادات الظاهرة.

٥.أنَّ الإخلاص لله تعالى يُعتبر من أهمِّ أعمال القلوب، وهو عملٌ يستمرُّ مع العبد في عباداته الظاهرة مِن أوّلها إلى آخرها، ولهذا كثُرت الأحاديث النّبوية التي تُعزّز هذا العملَ القلبيّ الهام.

٦.أنَّ الأسلمَ للعبد أنْ يُخفي أعماله عن أعينِ الناس ما استطاع إلى ذلك سبيلا.

٧.بقدْر ما تكون محبةُ الله تعالى ومحبة رسوله ﷺ مستحضَرةً في قلب العبدِ؛ بقدْر ما ينشط العبدُ على العبادةِ، ويجتهد فيها، بلْ ويُحسنُ في أدائها.

٨.حرصُ النبيّ ﷺ على الاستعانة بالله تعالى في سائر عباداته الظاهرة، ولهذا حثَّ أصحابه على ذلك.

٩.بيان النبيّ ﷺ لحقيقةِ الشكر لله تعالى؛ وأنّ من علاماته: الاستزادة مِن العباداتِ الباطنة والظاهرة.

١٠.حرصُ النبيّ ﷺ على بلوغ مرتبة الكمال في أداء العبادات الظاهرة؛ وأنّ ذلك لا يكون إلا بالإحسان فيها.

[٧٥] أخرجه الإمام أحمد برقم ٢٣٩٥٨ بسند صحيح.

[٧٦] أخرجه مسلم برقم ٤٨٩.

١١.دلالةُ النبيِّ ﷺ لمنْ أرادَ أنْ يترقَّى في منازل العبودية، وأنْ يرافقَه في الجنّة؛ أنْ يجاهدَ نفْسه على طاعةٍ.

ومن التوصيات:

١.السُّنة النَّبوية خزانةٌ مليئةٌ بالإرشادات، وكنوزٌ مليئةٌ بالعلم والحِكمة، والواجب علينا أن نستنبطَ منها ما يُحْيي قلوبَنا، ويُزكّي أعمالنا.

٢.أنَّ جمعَ الأحاديث النبوية؛ ذات الموضوع الواحد، في مكان واحد؛ يُبرز التكامل فيها، ولهذا أوصي نفسي وإخوتي من طلبة العِلم؛ أنْ يقرؤوا السُّنة النَّبوية بتأمّل؛ ثمّ يجمعوا القرينَ إلى قرينه، ثمَّ يُطعّموا ذلك بأقوال أهل العِلم، ويُخرجوه إلى النّاس ليستفيدوا.

وفي الختام؛ فهذا جُهدٌ متواضع، وهو عملٌ بشريٌّ، وما كان فيه مِن صوابٍ فهوَ بفضل الله تعالى ومنّه وتوفيقه، وهو أهلٌ للشكر والثناء، وما كان فيه من خللٍ أوْ نقصٍ أو تقصيرٍ؛ فإني أستغفر الله تعالى، وأعتذر إليه، وأسأله جلّ وعلا العفو والمغفرة.

سُبْحَانَكَ اللهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ. أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ

اللهم صلِّ وسلم على نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

والحمد لله رب العالمين

فهرس المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، المؤلف: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ)، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (المتوفى: ٧٣٩ هـ)، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م، عدد الأجزاء: ١٨ (١٧ جزء ومجلد فهارس)
- أعلام الحديث (شرح صحيح البخاري)، المؤلف: أبو سليمان حمد بن محمد الخطابي (ت ٣٨٨ هـ)، المحقق: د. محمد بن سعد بن عبد الرحمن آل سعود، الناشر: جامعة أم القرى (مركز البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي)، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩ هـ – ١٩٨٨ م، عدد الأجزاء: ٤
- تفسير القرآن العظيم، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩ م
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، المؤلف: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن معلا

اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م

- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ، عدد الأجزاء: ٩
- الجامع، المؤلف: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)، المحقق: بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت، سنة النشر: ١٩٩٨ م
- سنن الترمذي= الجامع
- السنن، المؤلف أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (المتوفى: ٢٧٣هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد - محمَّد كامل قره بللي - عَبد اللّطيف حرز الله، الناشر: دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م
- السنن، المؤلف: أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار البغدادي الدارقطني (المتوفى: ٣٨٥هـ)، حققه وضبط نصه وعلق عليه: شعيب الارنؤوط، حسن عبد المنعم شلبي، عبد اللطيف حرز الله، أحمد برهوم، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م
- السنن، المؤلف: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ)، المحقق: شعَيب الأرنؤوط - محَمَّد كامِل قره بللي، الناشر: دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩م
- شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى بـ (الكاشف عن حقائق السنن)، المؤلف: شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (٧٤٣هـ)، المحقق: د. عبد الحميد هنداوي، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز (مكة المكرمة - الرياض)، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ
- صحيح ابن حبان= الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان
- صحيحُ ابن خُزَيمة المؤلف: أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمي النيسابوري (المتوفى: ٣١١هـ)، حَققهُ وعَلّق عَلَيه وَخَرّجَ أحَاديثه وَقدَّم له: الدكتور محمد مصطفى الأعظمي، الناشر: المكتب الإسلامي، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م
- صحيح البخاري= الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه
- صحيح مسلم= المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
- فتح الباري شرح صحيح البخاري، المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي،

الناشر: دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

- فتح الباري شرح صحيح البخاري، المؤلف: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ)، تحقيق: محمود بن شعبان بن عبد المقصود، ومجدي بن عبد الخالق الشافعي، وآخرون. الناشر: مكتبة الغرباء الأثرية – المدينة النبوية، الحقوق: مكتب تحقيق دار الحرمين – القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٦ م
- المجتبى من السنن = السنن الصغرى للنسائي، المؤلف: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: ٣٠٣هـ)، تعليق: الشيخ الألباني، الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب
- مجموع الفتاوى، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: ١٤١٦هـ/١٩٩٥م
- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، المؤلف : محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، الناشر : دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الثانية ، ١٣٩٣ – ١٩٧٣، تحقيق : محمد حامد الفقي
- مسند الإمام أحمد بن حنبل، المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط –
- عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبدالله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م
- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، عدد الأجزاء: ٥
- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢
- النهاية في غريب الحديث والأثر، المؤلف: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦هـ)، الناشر: المكتبة العلمية – بيروت، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي، عدد الأجزاء: ٥

(The relationship of the hearts' work with the apparent worship .. Tasilah study in the light of the Prophetic Sunnah).

Abdo Kddaf Ahmad ALkad
King Abdulaziz University

Abstract In this research, the researcher presents his topic and aims to establish the concept of A legitimate concept, which is: a statement that the apparent worship (such as prayer, fasting and reading the Holy Quran and others) It must be carried out during the work associated with hearts (such as Fidelity to God and help God to do worship, and fear of non-acceptance, And hope the reward of Allah Almighty and thanks to the Almighty for His slaves).
All this in accordance with the guidance of the Prophet, to improve the Role models and Guidance, Sayyid al-Abbad (peace and blessings of Allaah be upon him), Where the apparent acts of worship if they are free from the actions of hearts, became acts without spirit, derived from the books of the Sunnah.
I called it: (the relationship of the hearts' work with the apparent worship .. Tasilah study in the light of the Prophetic Sunnah).